الإساءة إلى النبي الأكرم (ص) وحوار الحضارات

2006/2/14م

رغم أهمية الحوار بين الإسلام والغرب وكل الدعوات التي أطلقت لحوار الحضارات وموائد الحوار التي عقدت على أكثر من مستوى وفي أكثر من مجال؛ فإن كل ذلك لم يمنع من حصول أزمة بين العالم الغربي بشكل عام وبين العالم الإسلامي، لأن القضية تتجاوز مجرد فهم كل طرف لحضارة الاخر وثقافته إلى ما هو أبعد من ذلك.

أي أن بيت القصيد يكمن في هذا الموضوع أنه: هل العالم الغربي حاضر للاحترام الفعلي للإسلام، هل الغرب مستعد لاحترام إرادة الشعوب الإسلامية حتى لو كانت هذه الإرادة تتنافى مع إرادته أو مصالحه، هل يمتلك الغرب معايير عادلة وقيم واحدة في التعامل مع قضايا العالم الإسلامي، هل يقبل الغرب بعلاقات متكافئة وندية مع العالم الإسلامي أم لا، هل الغرب مستعد لفعل كل ذلك ولرفع يده عن مصالحه التي تضر بمصالح الشعوب الإسلامية وتتنافى مع خياراتها؟

إن كل التجارب التي خيضت مع العالم الغربي هي بشكل عام تجارب غير مشجعة، فما زال العالم الإسلامي يعاني من احتلال يتلوه احتلال ومن سرقة ثرواته ونهب خيراته وتغييب إرادة شعوبه، وما زالت الدول الغربية تعبث بأمور المسلمين وتسيطر على مقدراتهم وتعمل على فرض خياراتها ومصالحها على الحكومات الإسلامية وتضغط عليها وتحاول أن تعاقبها إن هي خرجت عن الإملاءات والتوجيهات الغربية.

ولا شك أن هذا الحد المأساوي الذي وصلت إليه أمور المسلمين لا يتحمله الغرب فقط بل إن الشعوب الإسلامية نفسها تتحمل مسؤولية كبيرة فيما الت إليها أمورها.

ولا ريب أن كل ما يحصل يتحمل المسلمون فيه بشكل أو اخر جزءاً من المسؤولية وحتى فيما يتعرض له النبي الأكرم (ص) من إساءة أو إهانة، فكم قلنا إن الأعمال الإجرامية التي يرتكبها البعض باسم الإسلام تسيء إلى الإسلام وإلى نبي الإسلام، فهل قتل المسلمين بعضهم البعض يعطي صورة حضارية عن الإسلام، وهل تفجير المساجد والحسينيات

والكنائس عمل يقره الإسلام ويرتضيه الرسول الأكرم (ص)، وهل قتل المصلين في المساجد وتفجير مواكب العزاء وتشييع الموتى وغير ذلك أعمال تعطي صورة جميلة عن نبي الرحمة محمد (ص).

لكن من الواضح في المقابل أن المشكلة لا تكمن هنا فقط لأن تقديم بعض المسلمين صورة مشوهة عن الإسلام ونبيّه محمد (ص) لا يبرر اقدام تلك الصحيفة على ما أقدمت عليه لأن تلك الأفعال الاجرامية قد دانها الكثير من المسلمين ومن المرجعيات الإسلامية واعتبروها أفعالاً غير إسلامية وهي بحق أفعال لا تنتسب إلى الإسلام بل إلى جهل من يقومون بها، ويعرف الغربيون ذلك، فالأمر يتخطى مجرد صورة مشوهة للإسلام يقدمها هؤلاء. أما لماذا نقول ذلك فلأن معظم المسلمين يمارسون إسلاماً معتدلاً يدعو إلى العدل والانصاف والتسامح هذا من جهة ومن جهة أخرى لو أن نشر تلك الرسوم اقتصر على تلك الصحيفة فقط لأمكن القول عندها إنه يحتمل أن يكون في الأمر خطأ ما قد يعالج بالاعتذار، لكن القضية تجاوزت هذا الحد إلى حملة تضامن مع تلك الصحيفة من العديد من الصحف الغربية ووسائل الاعلام الغربية مع علمهم بأن هذا الأمر يسيء إلى المسلمين ويؤذي مشاعرهم ويهين مقدساتهم، لكن رغم ذلك أقدمت وسائل الاعلام الغربية على ما أقدمت عليه ضاربة بعرض الحائط مشاعر مئات الملايين من المسلمين ومعتقداتهم ومقدساتهم...

ومن هنا أريد أن أقف عند موضوع حوار الحضارات لأقول بضرورة أن يكون هناك هدف للحوارفهل الهدف هو مجرد أن يعرف كل طرف بثقافة الاخر وتراثه أم أن هذه المعرفة يجب أن تكون مقدمة لاحترام كل طرف للاخر في خياراته ومصالحه ومقدساته وإرادته ومعتقداته... لأن المعرفة بما هي معرفة لا قيمة لها إذا لم توظف في خدمة العلاقات الإنسانية الطيبة وإذا لم تستخدم لمصلحة الإنسان وخير البشرية بل قد تستخدم على العكس من ذلك، لزيادة السيطرة والتسلط ونهب الثروات فهنا لم تمنع معرفة الغرب في وسائل إعلامه وغيرها بكون نشر تلك الرسوم أمراً مسيئاً للمسلمين من أقدامه على نشرها وعلى معاودة النشر بما يعني ذلك من تحدٍّ للمسلمين، ومن اصرار على الاعتداء على مقدساتهم؛ فهنا المعرفة لم تؤدِّ إلى إقامة علاقات سوية وسليمة ولم تمنع من حصول ذلك الاعتداء على مقدسات المسلمين.

نحن نعتقد أن القضية تتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد، أي إلى كيفية تأكيد المسلمين لذواتهم بشكل حضاري وإلى تحقيق هويتهم بشكل أصيل وإلى أخذهم بأسباب القوة على أكثر من مستوى وإلى وصولهم إلى الرشد الحضاري في مختلف الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية... إن كل ما تقدم لا بد أن يقود إلى انتشال المسلمين لأنفسهم من الخضوع للتسلط الغربي ومن الهيمنة الغربية على جميع مقدراتهم عندها يستطيعون أن يفرضوا احترامهم على الجميع ليحترمهم الجميع في خياراتهم ومقدساتهم ومصالحهم.

هنا سوف يجد الغرب نفسه مضطراً لاحترام المسلمين في هويتهم لأنهم أثبتوا بشكل مسبق قدرة هذه الهوية على الصناعة الحضارية وعلى التنافس الحضاري، ولن يجد عندها الغرب حزازة في احترام بعض القيم الإسلامية حتى لو كان يراها منافية لقيمه ولن يسعى إلى فرض قيمه على المجتمعات الإسلامية وسلوك المسلمين وعندها سيكون للحوار طعم اخر لأنه حوار بين متكافئين بل ندين، حوار هدفه احترام كل طرف للاخر في جميع متعلقاته قد تحققت شروطه الموضوعية، فهنا يمكن أن يكون هذا الحوار حواراً منتجاً ومثمراً.

د. الشيخ محمد شقير

أستاذ جامعي